

أن ننوه في ذلك المقام إلى أنه قد وردت بعض الأحاديث النبوية الصحيحة التي يمكن أن تفيد الإنسان في اختيار أنسب الأوقات للقيام ببعض الإنجازات الخاصة، فعلى سبيل المثال يرشدنا أحد تلك الأحاديث الشريفة إلى أن يوم الخميس هو الأفضل للسفر. فعن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يستحب أن يسافر يوم الخميس» (الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٥٠). وكان النبي ﷺ الذي يمثل القدوة المثلى لكل المسلمين يفضل إذا كان موجوداً بمنزل ما ألا يغادره قبل صلاة الظهر. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي الظهر» (أحمد بن حنبل، داود، النسائي، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٧٩٣).

وفيما يتعلق بالغزوات، فقد كان أفضل وقت للبدء فيها هو وقت زوال الشمس؛ فعن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ «كان يعجبه أن يلقي العدو عند زوال الشمس» (الطبراني الكبير في صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ ٢، ٤٩٨٧).

٣/٣: العبادات كوسائل لتنظيم الوقت والأعمال: اعتاد الناس -

ومن بينهم المسلمون أن يحددوا أوقات أعمالهم ومعاملاتهم ومقابلاتهم مع الغير، وغير ذلك من السلوكيات والمواعيد والأنشطة. وفقاً للوحدات التقليدية لقياس الوقت الزمني والتاريخ مثل الساعة ومشتقاتها (الدقائق والثوان.. والفيمتو ثانية)؛ والسنة ومشتقاتها (شهور، وأيام).. الخ، وهذا شيء لا غبار عليه، وليس محرم دينياً. ولا

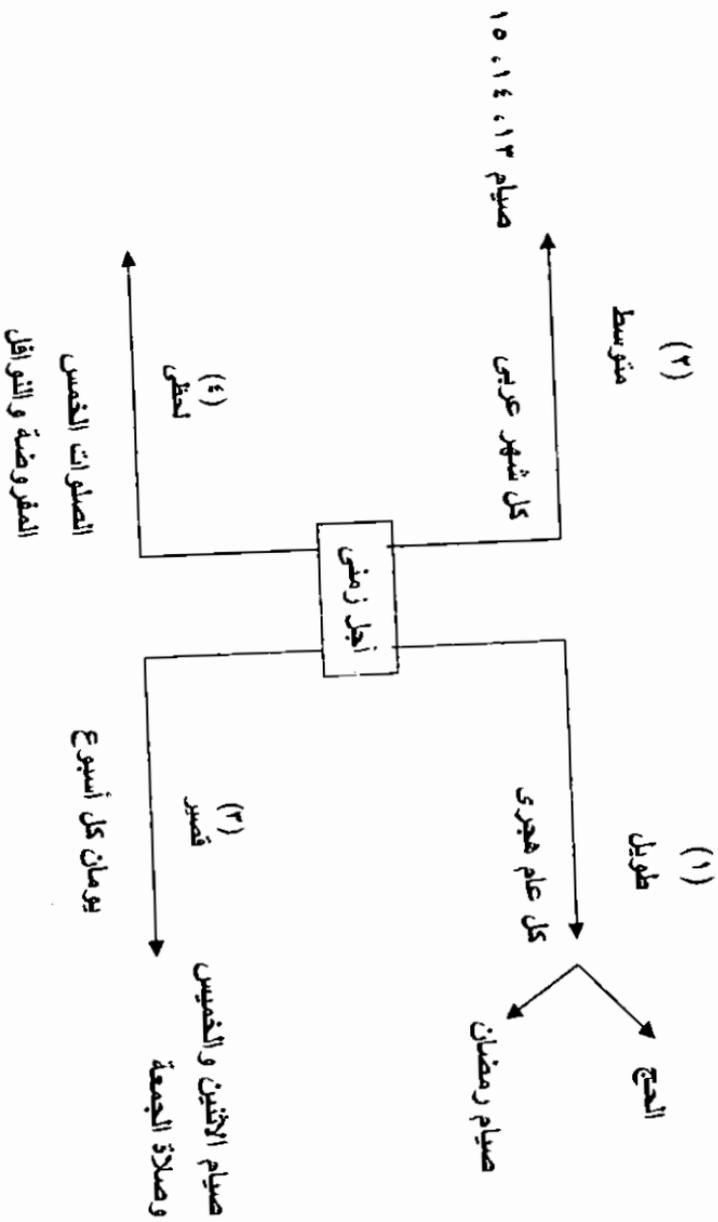
غير مجاز من الناحية القانونية. لكن المشكلة تكمن في أن مصالح الناس وأحوالهم كثيراً ما تتعارض بعضها مع البعض الآخر في أوقات أدائها، أو قد تتداخل وتتشابك بشكل يؤدي إلى وجود صعوبات كثيرة في التوفيق بين مواعيد أصحاب هذه المصالح في حالة احتياجهم إلى الالتقاء الآني على مصلحة واحدة أو عمل واحد أو ما شابه ذلك.

ولقد لاحظنا أن هناك من العبادات - خاصة المفروضة منها - ما يتفق توقيت أدائها بين كافة المسلمين - حيث أن التزامهم بأدائها واحد ومشارك مما يمكن معه أن تستخدم مواعيد أداء مثل تلك العبادات - ثابتة المواعيد والفترات - كوحدات تنظيمية شبه ثابتة للوقت وللأعمال الخاصة بكل فرد، بحيث يمكن أن ينتهي ذلك التطبيق الفردي تدريجياً إلى التوحيد التقريبي لتنظيم هيكل الوقت والأعمال بالمجتمع ككل. وانطلاقاً من تلك الفكرة. نود سرد مقترحاتنا وتصوراتنا التالية. مع تدعيمها ما أمكن بالأدلة الشرعية المناسبة.

وقبل البدء في سرد تصوراتنا، نود أن نلفت النظر إلى أننا سنستخدم ثلاثة أنواع من العبادات التي عادة ما تتم في أوقات محددة ودورية، ولكن على آجال زمنية مختلفة تنحصر في أربع فئات زمنية مختلفة ومنفصلة وذلك على النحو المبين في الشكل رقم (٦).

شكل (٦)

العبادات الرئيسية و دورية تكراراتها



ففى الشكل السابق يتم تصنيف العبادات التى تتم -على وجه العموم- بشكل دورى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى الصلاة، والصيام والحج. ووفقاً لطول الفترة الزمنية الفاصلة بين تكرارات كل من تلك العبادات، تم إعادة تصنيف العبادات المذكورة إلى أربع فئات: ما يتم منها كل عام هجرى (طويلة الأجل)، وما يؤدى منها كل شهر عربى (عبادات متوسطة الأجل)، وما يستحسن تأديته كل أسبوع (عبادات قصيرة الأجل)، وما يجب أن يؤدى كل بضع ساعات (عبادات لحظية).

وعلى ضوء التصنيف -التصورى- السابق، يمكن أن نعتبر أن الحج (الذى يتم فى شهر ذى الحجة من كل عام هجرى) وصيام شهر رمضان (كل عام هجرى) هما العبادتان اللتان يتم إنجازهما على ذلك الأجل الطويل. وباعتبار الأجل المتوسط كل شهر عربى، فإن صيام أيام ١٣، ١٤، ١٥ منه (أيام التشريق) كسنة عن النبى ﷺ يمكن اعتباره من العبادات متوسطة الأجل. وتطبيق نفس المنظار التحكمى، اعتبرنا يومين من كل أسبوع أجلاً قصيراً (مقارنة بنظائره من الآجال الزمنية الأخرى المذكورة فى النموذج الحالى)، وبالتالي يعتبر صيام كل اثنين وحميس أسبوعياً -كسنة عن النبى ﷺ- عبادات قصيرة الأجل. أما الصلوات الخمس المفروضة والنوافل المرتبطة بها، فهى تؤدى كل نحو ثلاث ساعات فى المتوسط، وأحياناً تؤدى على فترات زمنية أقصر من ذلك (كما يحدث ما بين صلاة المغرب والعشاء)، وبالتالي يمكن أن

تعتبر هذه الصلوات من العبادات اللحظية لأنها تتم على فترات زمنية شديدة التقارب مقارنة بما عداها من العبادات الأخرى.

وفيما يلي، مزيداً من الشرح والتوضيح لكيفية استخدام العبادات المذكورة كوسائل إرشادية لتنظيم الوقت وتخصيصه.

أولاً: فيما يتعلق بالعبادات طويلة الأجل: أى التى تتم على الأجل الطويل مرة كل عام هجرى ولفترة طويلة نسبياً. فإذا بدأنا بشهر رمضان الذى تتم فيه عبادة الصيام لمدة شهر عربى كامل. وتعمقنا بنظراتنا البحثية المنقبة فى ما يحدث عادة فى خلال ذلك الشهر وفى الفترات المحيطة به - من قبل ومن بعد- فسوف نلاحظ أن ذلك الشهر مرتبط - فى جانب منه بمنافع اقتصادية كبيرة ومتميزة. بعضها يتعلق بجانب التكافل الاجتماعى ومجال تحمين أحوال الفقراء. والآخر يتضمن طفرة انتعاشية ورواجاً فى بعض الأنشطة والمعاملات التبادلية ذات الطابع المتميز المرتبط برمضان كشهر للصيام وبعيد الفطر كخاتمة مبهجة وكمكافأة دنيوية مؤقتة للصائمين والطائعين لأوامر ربهم.

ومن أهم ما يتميز به شهر رمضان عن بقية شهور العام زيادة استخدام مواد غذائية ومشروبات بعينها مثل التمور، والمكسرات، وقمر الدين، والعرقسوس، والفواكه الجففة لإعداد الخشاف (مثل التين الجفف والمشمشية) كما يزيد الاستهلاك للمواد الغذائية والمشروبات على مستوى الأسرة، وكذلك على مستوى المجتمع

ككل (نتيجة لانتشار موائد الرحمن التي تبسط في كل مكان لتقديم وجبات الإفطار للفقراء ولعابري السبيل وغيرهم ممن يعانون من ظروف خاصة كالوحدة المعيشية والتقاعد عن العمل المرتبط بالمعانة من مشكلة الانعزال الاجتماعي. كذلك يتميز شهر رمضان بالإقبال المتزايد على تلاوة المصاحف وقراءة الكتب الدينية، وذلك بالإضافة إلى قيام أعداد متزايدة من المسلمين برحلات العمرة في ذلك الشهر امتثالاً للسنة النبوية الشريفة حيث يقول النبي ﷺ «عمرة في رمضان تعدل حجة») (البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل وابن ماجه وداود والطبراني الكبير في: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٤٠٩٧).

وكذلك فإن كثيراً من الصائمين يعتكفون في المساجد خاصة في العشر أيام الأواخر من شهر رمضان بالإضافة إلى أداء صلوات التراويح بعد أداء صلاة العشاء ونوافلها. وما من شك في أن رحلات العمرة وتأدية الاعتكاف يمكن أن ترتبط بمتطلبات خاصة من شأنها تيسير أمور المعتمر والمعتكف مثل توافر ملابس فضفاضة مريحة سهلة التنظيف ولا تتطلب كي مستمر وليست سريعة الاتساخ، وتوافر حافظات للنقود وللأوراق الهامة يمكن الاحتفاظ بها بطريقة آمنة ولا تأخذ حيزاً مكانياً، ومبردات للمياه أو حافظات للأطعمة وللمشاريب الساخنة (أو الثلجة) وذلك بالإضافة إلى كتيبات الأدعية والذكر التي يمكن أن تستخدم في أثناء تلك السياحات الروحانية الرمضانية.

وعلى ضوء ما سبق، فإن ذلك يؤكد على ضرورة الاهتمام بالأنشطة وبالمنتجات الموسمية وتنشيط عملية القيام بها والإعداد لها في شهر كامل سابق لشهر رمضان بحيث يأتي شهر رمضان وقد توافرت فيه كل المستلزمات الرمضانية المتعلقة بموائد الرحمن وبرحلات العمرة وتوفير مستلزمات المعتكفين إلى غير ذلك من المنتجات والخدمات. وبالإضافة إلى ذلك، ففي خلال ذلك الشهر الكريم يمكن أن تنشط صناعة الملابس والجلود وذلك لتوفير مستلزمات عيد الفطر المبارك. كما يمكن القيام بحملة سنوية لتحسين أحوال الفقراء والمحتاجين بحيث تبدأ مع شهر رمضان وتنتهى بنهايته. وإن كان ذلك يتم بالفعل ولكن بشكل عفوى أو بحكم العادات المرتبطة بذلك الشهر (الكريم) فإن ما نفترضه هنا هو القيام بحملة (منظمة) على المستوى اأخلى وعلى المستوى العالمى حيث تعتبر مدفوعات زكاة المال وزكاة الفطر ومرانسة الرحمن من أهم الأدوات والوسائل التطبيقية الرئيسية لتنفيذ تلك الحملة بشكل ثابت ومنتظم.

هذا، ويقترح تقليص أحجام المعاملات والأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالحياة المعيشية الدنيوية خاصة فى العشر الأواخر من شهر رمضان بحيث يجب على المسلمين زيادة الوقت المخصص للعبادة وللتواصل مع خالقه بالاعتكاف أو بتكثيف أداء الطقوس التعبديّة الأخرى وذلك التماساً ليلية القدر التى اختصها الله سبحانه وتعالى بكثير من البركات وأنزل فيها سورة سميت باسمها توضح أهميتها

وذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر).

أما في خلال اليوم الواحد من أيام الصيام في رمضان، فهناك تصور مقترح لكيفية تخصيص الوقت فيه وتوزيعه بين أداء المهام والأنشطة المختلفة. ويقوم ذلك التصور على مسلمة أو بديهة معينة بأن يوم الصيام في رمضان يمكن تصنيفه إلى ثلاث فترات متميزة: فترة الصيام، وفترة الإفطار، وفترة السحور؛ ففي فترة الصيام التي تمتد من الفجر حتى آذان المغرب. يفترض أن المسلم الذي يؤدي السنة كما يجب، يؤخر سحوره بقدر الإمكان حتى أقرب لحظات لفترة بداية ذلك الصيام. وبافتراض تناول وجبة السحور في تلك الفترة السابقة الفجر مباشرة فكأن الإنسان بذلك يتناول وجبة الإفطار من أجل هذا، يفضل أن يبدأ الصائم يومه المعيشي المعتاد منذ ذلك الوقت، ويفضل بدء يومه بالقيام بأكثر الأعمال مشقة، وأكثرها تطلباً لقوى بدنية وذهنية عالية حيث يكون الجسم في بداية مراحل امتلائه واختزانه لوسائل الطاقة من غذاء وشراب. ومع اقتراب وقت الإفطار، يكون الجسم قد حل عليه التعب، وبدأت أعراض الجوع والعطش وما يصاحبها من آلام وضعف في اجتياحه، وبالتالي يفضل للصائم أن يخفف من أداء الأنشطة المرهقة بدنياً أو ذهنياً وكبديلاً إما أن يستغل تلك الفترة في التعبد، أو في النوم كوسيلتين للاسترخاء وتجديد

الشحن الروحي للجسد بما يضمن استعادة التوازن بين جانبي الروح والمادة اللتان يتكون منهما الجسم البشري وبحلول وقت الإفطار بعد آذان المغرب ينتقل الصائم إلى بهجة الجانب المادى للجسم ولهذا. فإنه من السنة أن يعجل الصائم بالإفطار، وذلك كما قال الرسول ﷺ : «بكروا بالإفطار. وأخروا السحور» (صحيح الجامع الصغير وزيادته. ج ١، ٢٨٣٥). وبعد الإفطار والصلاة. يمكن للإنسان استكمال جزء من الأنشطة خاصة العضلية منها (أسوة بصلاة التراويح وقياساً على استحباب أدائها لصائم رمضان بعد إفطاره)، فذلك من شأنه المساعدة على عملية هضم الطعام الذى يتوقع أن يكون الصائم قد حصل منه أكثر من حاجة الجسم إليه نتيجة لحرمانه منه طوال اليوم. كما أنه في أدائه لصلاة التراويح ولبعض الأعمال العضلية الخفيفة الأخرى. استعادة لمرونة أعضاء الجسم المختلفة ونشاطها. ولو أنه من الأفضل الاكتفاء بأداء صلاة التراويح ثم المسارعة في النوم للتمكن من أداء سنة التهجد وتناول طعام السحور. حيث نتصور أن فترة النوم هذه ستكون الفاصلة بين يوم سابق ويوم لاحق.

فقبل الفجر بنحو ساعة أو ساعتين، يكون الصائم قد حصل على كفايته من النوم اللازم لتجديد النشاط المادى للجسم، وهنا تبدأ فترة السحور حيث يصلى الإنسان في خلالها ما أمكن من النوافل ثم يتناول سحوره امتثالاً للسنة الشريفة «السحور بركة أعطاكموها الله. فلا تدعوها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٦٣٦). والواقع

أن في تطبيق السنة الشريفة تحقيق لمصلحة مادية للصائم بل وللمجتمع ككل لأن في السحور تقوية للبدن وإعانة للصائم على القيام بأعماله المعيشية المعتادة بدون تكاسل وبنفس مستوى الإنتاجية والأداء في حالة الإفطار. والواقع أننا يمكن اتخاذ تلك السنة كدليل قاطع على أن الدين الإسلامي هو دين عمل وعبادة في نفس الوقت، وأنه عندما تشرع العبادة فلا بد أن تكون ملائمة مع الأعمال الدنيوية التي يحتاج إليها الفرد والمجتمع للعيش وللتقدم المستمر. وذلك أيضاً حجة تؤخذ على الصائمين المتكاسلين بحجة صيامهم، فلو أنهم اتبعوا سنة التسحر في الوقت المفضل لها ما حدث ذلك منهم أبداً.

هذا، ويعتبر الحج أيضاً من العبادات التي يتم أداؤها بعد أجل طويل نسبياً حيث تقام شعائره في شهر ذي الحجة من كل عام هجري. والحج بدوره على الرغم من أنه يمثل أساساً عبادة روحية لتقوية صلة العبد بربه وللإمتثال للأوامر الإلهية المقدسة، فإنه يتضمن منافع وجوانب اقتصادية وتحقيقاً لمصالح كثير من البشر. ويمكن أن نستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (الحج: ٢٧، ٢٨). ويشير تفسير القرآن العظيم لابن كثير إلى أن منافع الحج المشار إليها في الآية الكريمة تتضمن

منافع الآخرة (تكفير الذنوب ودخول الجنة) ومنافع الدنيا (ما يحصل عليه الحجاج من منافع البدن والذبائح والتجارة).

ويعتبر موسم الحج فترة ازدهار اقتصادى للبلد المضيف باعتباره سياحة دينية بالغة الازدهار، كما أنه فى خلال تلك الفترة يتم تدفق الثمرات والخيرات إلى البلد الحرام المعروف بمجذب أرضه، وذلك من خلال تدفق الزوار القادمين من أماكن خصبة. وبالإضافة إلى ذلك. فإن شعيرة الحج تعتبر بمثابة استقطاب تكتلى هائل للمسلمين من كل أرجاء المعمورة فى مكان جغرافى واحد وفى توقيت زمنى واحد، وذلك يمكن أن يمثل فرصة ذهبية لتدعيم الهوية الإسلامية بالقوة الاقتصادية وبالديبلوماسية السياسية وذلك من خلال عقد أو تجديد الصفقات التجارية وغيرها بين الأفراد من ناحية وبين الدول الوافد منها الحجاج من ناحية أخرى. (لمزيد من التفاصيل حول المنافع الاقتصادية التى يمكن أن ترتبط بفترة الحج، ارجع إلى: زينب الأشوح. ذو القعدة ١٤٢٣هـ/يناير ٢٠٠٣م، ص١٧٢٩-١٧٣٥)

ثانياً: فيما يتعلق بالعبادات متوسطة وقصيرة الأجل: ويقصد بها هنا العبادات التى يتم أدائها كل شهر أو كل أسبوع والتى تستغرق فى أدائها فترة أقصر مما تستغرقه العبادات طويلة الأجل، وهى تتمثل هنا فى العمرة التى يتم أدائها فى أى وقت على مدار العام الهجرى، وصيام النوافل على النحو الذى بيناه من قبل كما تم توضيحه فى الشكل رقم (٢).

والواقع أن ما قيل عن دور الحج في مساعدة المرء على تخصيص المتاح له من وقت بأسلوب رشيد يمكن أن ينطبق بالمثل على رحلات العمرة التي تتم على مدار العام كنموذج مشابه لما يرتبط بشعائر الحج باعتباره تكتلاً بشرياً إسلامياً يتجمع في ذات الفترة الزمنية وإن كان بأحجام بشرية أقل وفي أوقات زمنية غير محددة على مدار العام.

أما فيما يتعلق بعبادة الصيام فإن ما قيل سابقاً عن تخصيص الوقت خلال يوم الصيام يمكن أن ينطبق بدون اختلاف كبير في حالة صيام الأيام الثلاثة من كل شهر عربى ويومى الاثنين والخميس من كل أسبوع. فقط نود التأكيد على الأهمية المتميزة للصيام في هذين اليومين كوسيلة لتحسين وضع المسلم أمام ربه خاصة في هذين اليومين (الاثنين والخميس) اللذين ترفع فيهما أعمال البشر إلى الله سبحانه. حيث يقول النبي ﷺ: «إن الأعمال ترفع يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ١٥٨٣). والواقع أن ذلك الحديث الجليل يوحى لنا بفكرة رائعة. فإن كانت أعمال البشر ترفع للخالق عز وجل يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع، فلماذا لا يخصص الإنسان هذين اليومين أيضاً لمحاسبة نفسه ومساءلتها عما قام بفعله وما تعرض له من حوادث ومواقف وما بدر عنه من سلوكيات قبل هذين اليومين بحيث يكونان يومين للحساب الذاتى بين المرء ونفسه وذلك عملاً بالتوجيه الشرعى: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»!؟

وبوجه عام، فإن أيام الصيام تعتبر بمثابة علاج نفسى لكبح ثورات النفس الشائرة المتمردة وتعويدها على الانضباط أولاً بأول حيث يرشدنا التوجيه النبوى إلى السلوك الواجب ربطه بالصيام كما جاء في الحديث الشريف: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٧٨٣).

ثالثاً: العبادات اللحظية: ويقصد بها في نموذجنا الحالى العبادات التى تتم خلال اليوم على فترات متقاربة ولفترات زمنية بالغة القصر مقارنة بالمجموعتين السابق ذكرهما. ويمكن أن تتعدد تلك العبادات اللحظية وأشكالها، ومن الأمثلة عليها تلاوة القرآن والاستماع إليه والتسبيح والاستغفار والصلاة على النبى. غير أن أهم العبادات اللحظية التى يمكن أن تلعب دوراً جوهرياً في ترشيد تخصيص وقت الإنسان على الإطلاق هى الصلاة، خاصة الفرائض منها التى أوجب الإسلام على الإنسان ضرورة تأديتها في أوقات محددة على مدار اليوم، وأتاح فترة سماح محددة لأداء كل منها بحيث يعاقب المتأخر فى أداء تلك الفروض خارج أوقاتها المسموح بها. إذن فكأن الصلوات الخمس - على وجه الخصوص - تعتبر بمثابة مؤشرات قياسية ضابطة لفواصل زمنية بالغة التحديد والوضوح بحيث يمكن أن يساعد ذلك الإنسان على تخصيص أوقاته فى خلال اليوم وتوزيعها بين أعماله

وأنشطته المختلفة وفقاً لتلك الفواصل الزمنية المرتبطة بأوقات أداء الفروض الخمسة.

تعتبر الصلوات المفروضة بحق من أفضل المؤشرات الإرشادية التي تساعد على تنظيم حياة الفرد على مدار يومه كله. ولتصنيف أنشطته وتحركاته اليومية بأفضل شكل ممكن بالإضافة إلى ما ينطوى عليه أداؤها - في أوقاتها- من منافع ذاتية كثيرة تعود على المصلي من ناحيتين البدنية والنفسية.

فكرار الصلاة على فترات متقاربة ومتفاوتة أيضاً على مدار اليوم الواحد يجعلها أولاً بمثابة عمليات شحن رוחي متلاحق للإنسان حفاظاً على توازنه الطبيعي مع الجانب المادى فيه الذى دائماً ما يأخذه إلى مغريات الحياة ومادياتها الملموسة، كما أنها تعتبر بمثابة تمرينات رياضية تضمن مرونة جميع عضلات الجسم وتقويتها وزيادة كفاءة تشغيلها في أداء المهام المعيشية الشاقة. وبدلاً من إتباع النصائح المعتادة بعمل تمرينات رياضية (فى الصباح الباكر) فقط، فإن الله الأعم بطبيعة ما خلق يرشدنا إلى أن تلك التمرينات يجب ألا تكون فقط (تمرينات الصباح) ولكنها يجب أن تحدث على مدار اليوم.

والواقع أن الفصل التوقيتى للصلوات اليومية يفيد الإنسان أيضاً باعتباره نوعاً من الراحة الإجبارية لإلزامه بالتوقف عن الأعمال الدنيوية الشاقة وبالابتعاد اللحظى عن حلبة المصارعة مع البشر ومع

مشارك الحياة حيث يستطيع المرء في كل وقت صلاة يقوم لتأديتها أن يتحول إلى مناخ آخر مختلف.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الإنسان يمكن أن يجدد أنشطته ومعاملاته وفقاً لأوقات الصلاة المختلفة، وأيضاً بالاسترشاد بطول الفترات التي تتخلل كل فرض وآخر بشكل مختلف. ولنبدأ بأول تلك الفروض وهي صلاة الفجر والتي تظل معها إشراقه يوم جديد. ويحدث وقتها تعاقب الملائكة كما جاء في الحديث الشريف: «يتعاقبون فيكم. ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين أتون فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ١٩٠١٩-٣١١٢).

وبافتراض أن الإنسان قد حصل على كفايته من النوم قبل الاستيقاظ لأداء صلاة الفجر، فإنه من الأفضل له ألا ينام بعد أدائها، بل يجب عليه أن يبدأ بعدها يومه المعيشي وأن يبدأ بأكثر التزاماته مشقة من الناحيتين البدنية والذهنية حيث يفترض أنه في ذلك الوقت يكون في قمة حيويته ونشاطه. ويمكن أن يدعم رأينا هذا ما جاء في الحديث الشريف: «بورك لأمتي في بكورها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١).

وعادة ما تمر نحو خمس ساعات في المتوسط من وقت الشروق حتى يحين ميعاد صلاة الظهر وهي فترة طويلة نسبياً يستطيع الإنسان

فى خلالها القيام بالأعمال ليست الأكثر مشقة فحسب، بل أيضاً والأكثر احتياجاً لاستمرارية الإنجاز بدون انقطاع. ومع هذا، فقد سنَّ الله على الإنسان صلاة الضحى بحيث يمكن القيام بها فى أى وقت خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة نسبياً ما بين صلاة الشروق وبين وقت الظهر. وكان تلك الصلاة بمثابة جرعة فيتامينات أو منشط لجميع أعضاء الجسم لتمكينه من الاستمرار فى عمله الشاق. وكيف لا والحديث الشريف يقول: «يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة، تسليمه من لقى صدقة، أمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق صدقة، وبضعه أهله صدقة، ويجزى عن ذلك كله ركعتان من الضحى، قالوا: يا رسول الله أحدنا يقضى شهرته وتكون له صدقة؟ قال: أرأيت لو وضعها فى غير حلها ألم يكن بأثم» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٨٠٩٦-٣١٧٧).

ويلاحظ أن الفترة ما بين الظهر والعصر تدنى تقريباً إلى نصف الفترة ما بين الصبح والظهر حيث لا تتعدى ثلاث ساعات ويمكن لذلك أن يوحى لنا بأن الأعمال التى تتم ممارستها فى خلال تلك الفترة تكون من الأعمال الأقل مشقة والأقل احتياجاً للاستمرارية الزمنية مقارنة بتلك التى كانت تؤدى منذ الصباح. وإذا جاز لنا التعبير فإن أعمال الصباح يفضل أن تكون ذات طبيعة أساسية مستقلة بينما الأعمال التى تنجز فى الفترة بين صلاتى الظهر والعصر يمكن أن تكون أعمالاً استكمالية. أما الفترة ما بين العصر والمغرب فهى أقصر من

سابقتها وتبلغ نحو ساعتين في المتوسط ولأنها تقع في النصف الأخير من النهار فيمكن أن يتم تخصيصها لتناول طعام الغداء والراحة. غير أنه من المفضل للإنسان أن يستمر في أداء أعماله المعيشية حتى يحين ميعاد صلاة المغرب، وهنا عليه أن ينهي يومه التكسبي ويبدأ جزءاً آخر منفصل عنه تماماً.

ويلاحظ أن الوقت بين المغرب والعشاء من أقصر الفترات الزمنية التي تتخلل الصلوات المفروضة حيث لا يتعدى ساعة ونصف. لذا، يفضل عدم التزام المرء بأى التزامات عمل أو غيرها في خلال تلك الفترة. أما بعد صلاة العشاء، فيفضل - إذا لم تكن هناك ضرورة لغير ذلك أن ينام الإنسان ليتمكن من الاستيقاظ في النصف الأخير من الليل لقيام الليل ولأداء صلاة الفجر في ميعادها... وكذلك لبدء يومه الجديد على نحو ما أوضحنا من قبل. والواقع أن ما دفعنا لإبداء ذلك الاقتراح التصوري الأخير أن النبي ﷺ قال: « نهى عن النوم قبل العشاء، وعن الحديث بعدها» (عن ابن عباس، الطبراني الكبير، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ٢، ٦٩١٥).

إما إن كان للإنسان حاجات يجب أن يقضيها بعد صلاة المغرب. وأراد في نفس الوقت تنفيذ توجيه النبوى الوارد بالحديث السابق ذكره بعدم الكلام بعد صلاة العشاء، فيمكنه أن يؤخر صلاة العشاء إلى وقت لاحق لأداء مهمته ثم ينام بعدها مباشرة. مع العلم بأن وقت صلاة العشاء ليس ممتداً حتى وقت صلاة الصبح أو الفجر كما يعتقد

- خطأ. كثير من الناس، ولكنه ينتهي عادة عند منتصف الليل تقريباً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى الثلث الأخير من الليل أو نصفه» (أحمد بن حنبل، الترمذى، ابن ماجه، في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ١٧٢٦-٥٣١٣).

وكقاعدة عامة يمكن استنباطها من التوجيه الإسلامي حول تخصيص الوقت للعمل التكسبي فإن ذلك الوقت يجب أن يبدأ بعد طلوع الشمس وليس قبلها أبداً وذلك استرشاداً بما رواه ابن ماجه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن السوم^(١) قبل طلوع الشمس» (الرعى- ابن كثير ٤/١٨٥).

كما أن التكرار الزمنى المستمر للعمل يمكن أن يستخدم كمعيار لارتفاع كفاءة العمل وذلك استرشاداً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل» (عن عائشة في الصحيحين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ٧٨٨٧-٢٩٨٢).

ونختم حديثنا عن كيفية الاسترشاد بالصلوات المفروضة في التخصيص السليم للوقت، بالتركيز على صلاة ذات طبيعة بالغة التميز وهي صلاة الجمعة. حيث يمكن أن تكون تلك الصلاة الجامعة بمثابة فاصل زمنى محدد بين فترة سابقة للانشاط أو النشاط المحدود

وفرة لاحقة لممارسة كل نشاط. وترشدنا إلى ذلك الآيات الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ٩، ١٠). وعادة ما تضيق فرص ممارسة الأنشطة التكسية والمعيشية قبل صلاة الجمعة - ولكنها لا تحرم - وذلك لاستحباب إعداد الحال الملائم لأداء تلك الصلاة المقدسة مثل الاغتسال وتبكير الذهاب إلى المسجد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بَدَنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن. ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة. ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (للبخارى ومسلم، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج-٢، ٦٠٦٣-٦٠٠٤).

والواقع أن الحديث الشريف يفيدنا كثيراً في استنباط معيار آخر متميز لتقييم أداء العمل على أساس (الوقت) الذى بدأ فيه الإنسان عمله؛ ويمكن أيضاً استخدام ذلك المعيار في المقاضلة في أداء وإنجاز مجموعة أفراد يعملون كفريق متكامل مكلف بمجال عمل واحد. حيث تعطى الأفضلية وأولوية التقييم لمن بدأ عمله في وقت مبكر عن

غيره، أو من حضر إلى مكان العمل وأصبح جاهزاً قبل غيره لأداء تكاليفات العمل.

٤/٣ : النوم والراحة: لم يغفل التوجيه الإسلامي جانبي النوم والراحة كاحتياجات أساسية للبشر. لذا، فقد قدم بعض الإرشادات العامة المفيدة في ذلك المجال. فإذا ما بدأنا الحديث ببداية اليوم التي تأتي مع صلاة الفجر، فإن الإنسان في تلك الفترة قد يكون مستمراً في حالة بين النوم واليقظة؛ فإن نام نوماً كاملاً بعد صلاة الفجر، فقد يتأخر في استيقاظه ويضيع على نفسه بركة التبكير في الاستيقاظ وبدء النشاط اليومي المعتاد كما دعا إلى ذلك الحديث الشريف: «بورك لأمتي في بكورها» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٢٨٤١).
وكبديل فعال ينصح النبي ﷺ بالاضطجاع لبعض الوقت كنوع من الإعداد التدريجي للذهن وللبدن لبدء أعمال اليوم الجديد. فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن» (حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج ١، ٦٤٢).

كما أن ممارسة الأعمال الشاقة والمجهددة قد تصيب الإنسان بإرهاق يمكن أن يعرقل استمراره في العمل إطلاقاً أو بالكفاءة المطلوبة بقية اليوم. وللتغلب على ذلك الإرهاق ولتجديد نشاط الجسم وحيويته، يفضل للإنسان أن ينام نوماً خفيفاً أثناء النهار حيث يقول